

مسلسلات حرّفت الواقع التركي والعرب يقلدونها

الدراما التركية بين ابتزاز عواطف الانتماء القومي والدفاع عن المرأة



محاولة تقديم صورة مغايرة قريبة من الحقيقة



الفخر قد يقود إلى المغالطات

في مشهد الافتتاح أن البطلة دنيز تذهب إلى منزل أختها ياسمين وتخبرها بأن أشياء سيئة حصلت لها، ومن جملة ما أخبرت بها أنه تم الاعتداء عليها جنسياً من قبل الطبيب الجراح.

هكذا يصبح صديق عشاء الأمس

متهما بالتحرش، وهي التهمة التي تلقى اتهاماً بالغا من أفراد المجتمع ككل، وبالفعل يتم استجواب الطبيب، وسط حالة من الاندهاش والإنكار للاتهامات، خاصة وأنه أثبت أن ما قام به هو باتفاق مشترك ورضاً بين الاثنين وليس عنوة.

دنيز على ما يبدو من خلال أحداث أختها وزوجها تارة، وأختها وزوج دنيز السابق مراد (المحقق في الأمن العام) تارة أخرى، أنها مرت بحادثة من قبل، استدعت تناولها علاجاً، وأنها مصابة بتهبؤات ورؤى كاذبة، لذا تخشى الأخت أن يكون اتهامها للطبيب مبنياً على هذه الحالة المرضية السابقة. لكن يسعى الجميع إلى إخفاء الحقيقة عن محققي الشرطة، كما تكشف أحداث المسلسل عن جوانب خفية في علاقة الأختين.

ارتفاع معدلات العنف والتحرش والاغتصاب وغيرها من أمور صارت المرأة ضحية لها دفع الدراما إلى مناصرة النساء

هكذا تحولت بوصلة الدراما إلى الاهتمام بالقضايا الداخلية، لا مكتفية بتسليط الضوء عليها أو حتى التحذير من عواقبها، وإنما راحت تناقش الأسباب والدوافع، وتضع كل شخص أمام مسؤولياته ودوره المنوط به لمنع حدوث مثل هذه الجرائم في ما بعد أو على الأقل تقليل نسبة حدوثها، وهو ما أكسب مثل هذه الأعمال الدرامية مشاركة مجتمعية فعالة على أعلى المستويات، بالسجل والمناقشة عقب كل حلقة، وتحليل مضمون الحلقات في نقاشات جماعية غرضها الوصول إلى حل جذري لهذه الآفة التي أرقت المجتمع وسببت صداماً مرثناً لاولي الأمر.

غارق في الانفتاح عبر علاقات غير رسمية، وانتهاكات لقدسيتها الأسرة، ومنهك في صراعات عائلية لا حد لها، ومؤامرات للاستحواذ على الثروة، وغيرها من أعمال اشغلت بالشكل دون جوهر المجتمع وعصبه، فعرضت للسلط منه دون التعق في واقع مشكلاته الحقيقية، الذي لا يختلف عن واقع أي من الشعوب العربية المجاورة التي تعاني السلطوية، والسغب في العيش إلى جانب ما تعانيه المرأة من ظلم وغبن في حقوقها وقمع لإرادتها واستقلالها.

ومن ثم ركزت الدراما في الفترة الأخيرة على تقديم أعمال تنمى صورة قريبة من المسائل التي تعاني منها الطبقة المتوسطة والمتدنية أيضاً التربة مثل الحرمان من الأمومة والتحرش والاغتصاب والعنف، وأيضا قضايا الطفولة والتبني، وأطفال الملاهي ونظرة المجتمع لهم، وهل يمكن دمجهم في نسج المجتمع الكبير، أم ثمة إقصاء وعنصرية في التعامل مع هذه الفئة، وإلى جانب هذه الأعمال كانت هناك الدراما التي عكست الانتماء الوطني والفخر بالأمجاد والإنجازات، وإظهار تمكّن من امتلاك أذنك مسلسل "النظمة" الذي يقدم بطولات جهاز الاستخبارات التركية (القلعة) في مجابهة الاخطار التي تحدّق بتركيا داخليا وخارجيا، وإظهار تمكّن من امتلاك أذنك وأنسج الفدائيين والفدائيات، وكذلك أحدث المعدات التكنولوجية في حربه ضد أعداء الوطن.

نفس النبذة، نبذة الفخر والانتماء القومي، تسري على مسلسل "المؤسس عثمان" الذي يتناول سيرة المؤسس الأول للدولة العثمانية وجهود في تأسيس الدولة ونقلها من الضياع والفقر إلى القوة والصلابة، وصراعاته ضد المغول والتتار والصليبيين والفرس والبربر، وقدرته على التصدي لمشكلات الخارج وكذلك الداخل المتمثلة في الصراعات العائلية.

وكذلك مسلسل "باربروس أو الباربروسيون" والمسلسل الأخير يقدم سيرة شخصية للبحارئين التركيين؛ خير الدين باربروس، الذي كان يطلق عليه قبطان باشا أو قبطان بحر الإمبراطورية العثمانية، وأخيه عروج باربروس، وبطولتهما البحرية في عهد السلطان سليم الأول، وما كان لها من تأثيرات مهمة في امتلاك الإمبراطورية العثمانية، وقدذاك، السيادة على البحر المتوسط.

وتوالى الأعمال مؤخرًا التي تجاوزت مع قضايا القومية التركية سواء على سبيل الفخر والاعتزاز، أو على مستوى الوقوف على حقيقة المشكلات التي يواجهها المجتمع التركي بعيدا عن الدعاية الكاذبة أو الصورة التي طرحتها المسلسلات الرومانسية. وكذلك جاء مسلسل "الطفولة" الذي لعب بطولته أردال بيشيكنتشي وبورجو أوربا، والطفلة بيرين جوكيلدين التي سرقت الأضواء من الجميع بأدائها النوعا ما، عن المجتمع التركي، فبدا وكأنه

عمليات الاقتباس التي تتّم في الدراما التركية من الدراما الأجنبية، أنها تأتي بإضافات جوهرية للعمل المأخوذة منه، تصل إلى حدّ تريبته، حتى يبدو وكأنه عمل تركي الأصل وليس مقتبسا من عمل آخر، خاصة في تشابه الكثير من القضايا المثيرة وغير المحسومة في المجتمع التركي وأشها قضايا الهوية والانتماء والاعتزاز بالقومية والعنف ضد النساء.

دراما الولاء للنساء

العنف ضد النساء هو العنوان الأكثر حضورا في وسائل الإعلام التركية، وإذا عدنا إلى السوراء قليلا لوجدنا هناك المسلسل الشهير "حطام" إنتاج عام 2014 (ثلاثة أجزاء) ينتمي إلى المسلسلات المقتبسة من غيرها، فهو مأخوذ عن الدراما الكورية "الخريف الذي في قلبي" ولعب فيه دور البطولة النجم أركان بينكايا، والنجمة أبرو أوزكان، مع نورسال كوسا، ونور جول يشيل شاي، وبالمثل هناك مسلسل "الطبعة المخملية" (إنتاج 2016)، من بطولة ميريك أزال، وإنجين أوزتورك، وهازار إيرجوتشيلو، وأوزان دولوناي، وإخراج ماتين بالكو جلو، وهو مأخوذ من دراما كورية بذات الاسم.

ويدور في إطار رومانسي وإن كان منسجما مع القيمة السائدة في الدراما التركية، حيث عشق أحد أبناء العاملين (ينتمي إلى الطبقة الفقيرة) لدى أسرة غنية لابنة هذه الأسرة، والصراع الدائر بين الطبقتين، لمنح حدوث مثل هذا التقارب الذي لا يتناسب مع وضعية الأسرة الثرية. وغيرها من أعمال كشفت عن حجم الاقتباسات بين الدراما التركية وغيرها من أعمال درامية آسيوية وأجنبية. الشيء المهم واللافت في أن واحد أن

كما أشارت الدراسات إلى ما تُعانيه وضعية المرأة في العالم بصفة عامة من انتكاسات حقيقية في مجال الحقوق. وعلى الرغم من الصيحات النسوية والمنظمات الحقوقية وغيرها، للمطالبة بالحد من هذا الإتهان الذكوري، أو على الأقل الشعور بالأمان الجسدي والنفسي، ومجاهبة هذه التحديات بقوانين رادعة إلا أن مسألة العنف الذي تواجهه المرأة في ازدياد في مفرقة جيبية لتلك الصيحات المدافعة عنها، وإصدار القوانين لصالح حمايتها.

الازدياد في معدلات الجريمة ضد المرأة كان سببا رئيسيا لاحتجاج منظمات المجتمع المدني والمنظمات النسوية على خروج تركيا من "اتفاقية إسطنبول" لمكافحة العنف ضد المرأة، خشية من تفاقم الأمر وافتقاد المرأة للحماية والأمن اللذين كانا توفرهما الاتفاقية.

ونتيجة لتفاقم الوضع أولت الدراما التركية في الفترة الأخيرة عناية كبيرة بقضايا المجتمع التركي بعيدا عن تلك المسلسلات التي صدرت صورة، مغلوطة نوعا ما، عن المجتمع التركي، فبدا وكأنه

/ إعلان ترويجي لمنتج، إلخ... من الصفر، منذ لحظة قراءة السيناريو واختيار الأبطال والتحضير للعمل، ومتابعة تلقي العمل على وسائل التواصل الاجتماعي، وما يثيره التقييم التنافسي للمسلسل من صراعات ضلها بين زملاء الوسط، وما ينتج عن هذا من مشاكل تواجه النجوم، وقدرة شركات الإنتاج أو مدير الأعمال على تزييل كافة العقبات للوقوف خلف النجم في كل ظرفه وحل مشاكله بما فيها العاطفية، وهو ما يكشف عن أننا أمام صناعة كبيرة يقف خلفها الكثيرون، وتدار بالجهد والتعب والإصرار.

وإذا عدنا إلى السوراء قليلا لوجدنا هناك المسلسل الشهير "حطام" إنتاج عام 2014 (ثلاثة أجزاء) ينتمي إلى المسلسلات المقتبسة من غيرها، فهو مأخوذ عن الدراما الكورية "الخريف الذي في قلبي" ولعب فيه دور البطولة النجم أركان بينكايا، والنجمة أبرو أوزكان، مع نورسال كوسا، ونور جول يشيل شاي، وبالمثل هناك مسلسل "الطبعة المخملية" (إنتاج 2016)، من بطولة ميريك أزال، وإنجين أوزتورك، وهازار إيرجوتشيلو، وأوزان دولوناي، وإخراج ماتين بالكو جلو، وهو مأخوذ من دراما كورية بذات الاسم.

ويدور في إطار رومانسي وإن كان منسجما مع القيمة السائدة في الدراما التركية، حيث عشق أحد أبناء العاملين (ينتمي إلى الطبقة الفقيرة) لدى أسرة غنية لابنة هذه الأسرة، والصراع الدائر بين الطبقتين، لمنح حدوث مثل هذا التقارب الذي لا يتناسب مع وضعية الأسرة الثرية. وغيرها من أعمال كشفت عن حجم الاقتباسات بين الدراما التركية وغيرها من أعمال درامية آسيوية وأجنبية. الشيء المهم واللافت في أن واحد أن



بوصلة الدراما تحولت إلى الاهتمام بالقضايا الداخلية، لا مكتفية بتسليط الضوء عليها وإنما راحت تناقش الأسباب والدوافع

لاقت الدراما التركية نجاحا كبيرا لدى الجمهور العربي في السنوات الأخيرة، وهو نجاح لم يستمر طويلا إذ بدأت بسحب البساط منها أعمال درامية عالمية تقدمها منصات من قبيل نتفليكس، وبينما لا تزال الدراما العربية مرتتهنة في تقليد نظيرتها التركية أتجهت الأخيرة إلى تجاوز المغالطات الاجتماعية التي تقدمها إلى أعمال أكثر نقدا ومصداقية وإن شابها أحيانا نوع من الإغراق في القومية بما فيها من أحادية ومغالطة، ما جعل العرب لا يزالون يحاولون إيجاد محل لهم في السباق الدرامي العالمي.



محمد فرّاح النّابوي كاتب مصري

لعبت مجموعة من العوامل والظروف في هيمنة الدراما التركية على ذائقة الجمهور في البلاد العربية (والأجنبية أيضا) لعقد من الزمن، قبل أن يغزو العالم العربي طوفان من المسلسلات الهندية والمكسيكية والكورية، فعدت تركيا وفقا للإحصاءات ثاني مُصدّر للدراما في العالم بعد الولايات المتحدة، وتقوم بتصدير مسلسلاتها إلى أكثر من 90 دولة مختلفة سواء بالترجمة إلى أو الدبلجة إلى لغتها الأم. ثم حدث التحول المهم بالنقله التي أحدثتها منصة نتفليكس (على الرغم مما احتوته في بعضها من محتويات تتناقض مع الأخلاق العربية وغيرها من منصات رقمية؛ قدمت محتويات جديدة بتقنيات عالية.

وفي عالمنا العربي، وجد الجمهور، خاصة النساء، ضالته في دراما جيدة نوعا ما تختلف عن تلك التي يُقدمها سوق الإنتاج العربي، على نحو ما قدم مسلسل نور (إنتاج 2008) - بطولة كيفاناش تاليتوتوغ (في دور مهذب)، وسونجول أودن (في دور نور)، باكورة اللقاء بين المشاهد العربي والتركي، وقد حقق المسلسل رواجاً هائلا فاق توقعات فريق عمله؛ حيث حصل على أعلى نسبة مشاهدة بأكبر من 85 مليون مشاهدا في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ليصبح أول مسلسل تركي يحقق هذا النجاح.

فخ الاقتباس

كان من آثار هذا الانبهار الذي لاقته المسلسلات التركية من قبل الجمهور، أن صارت الدراما التركية هدفا من قبل صنّاع الدراما العرب (من منتجين ومؤلفين ومخرجين) اقتباس موضوعاتها وأفكارها وأجواء تصويرها، علاوة على تعدد أجزاءها، ومن أشهر المسلسلات التركية التي تم اقتباسها عربيا مسلسل "عروس إسطنبول"، بطولة أوزجان دنيز، وأصله إفرق، فقد جاءت نسخته العربية بعنوان "عروس بيروت" - بطولة ظافر العابدين، وكارمن بصبص، وإن كانت الأخيرة اتسمت بالمط والتطويل والتقليد الفخ دون الابتكار أو مراعاة الخصوصية العربية بما فيها من عادات وتقاليد... إلخ. وما لبثت مع موجة التقليد والاقتباس التي طالت أعمالا كثيرة، أن وقعت الدراما التركية هي الأخرى في فخ الاقتباس والتقليد من المسلسلات الأجنبية، فسادها مؤخرا المسلسل التركي الذي كانت تبث حلقاته على قناة ستار (Menajerimi Ara) "انصل" بمدير أعماله وهو مقتبس من مسلسل فرنسي بنفس العنوان، وإن كانت النسخة التركية التي لعب أدوار البطولة فيها: بارش فلاي، وجازان أرغودار، وفاتح أرتمان، وأحسن أر أوغلو، دينيرو جان أكتاش، وإيشيل شاملي أوغلو، وسرحت تومان، بإخراج متميز لعلي بلقين، تميزت بتريك الشخبة الفرنسية، وإضافة الكثير من الأحداث التي لم تتضمنها، تماشيا مع طبيعة الثقافة التركية والعادات الشرقية.

استطاع المسلسل بذلك أن يتجاوز الحبكة الفرنسية، ليغزل حكاية مصنوعة بإحكام عن هذه الصناعة بما يتضمنها من تفاصيل عن سوق الإنتاج التركي والتنافس بين الشركات على احتكار النجوم وتسويق الأعمال وإنتاجها. كما يقدم المسلسل صورة واقعية عن كيفية صناعة النجوم وسياسات الإنتاج والتحضير للعمل، وكاننا داخل ورشة حقيقية لصناعة عمل فني (دراما / سينما